سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

نصائح وتوجيهات للخطباء

مقتطفات من محاضرة

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

ولهذا فإنَّ عليه أن يرعىٰ هٰذا الأمر أتم رعاية، فهي وإن كانت وظيفة شرعية إلا أن رعاية الإمام والخطيب فيها لجانب التعبُّد هو الأصل، والنبيُّ ﷺ تصرَّف بأنواع من التصرفات في حال إمامته أو خطبته بصفته إمامًا وخطيبًا، أو بصفته في بعض الأحوال إمامًا للمسلمين، أو بصفته نبيا مرسلا من عند الله جل وعلا.

ولهذا تصرفات النبي ﷺ في مسجده:

تارة تكون لكونه إماما للمسلمين.

وتارة تكون لكونه نبيا مرسلا.

وتارة تكون لأنه إمام للمسجد وخطيب فيه دون نظر لاعتبار المزيد .

ولهذا كان تارة يرشد ولا يلزم، وكان تارة يبين ويقول لرجل: ألا فتحت علي.

ويقول لآخر: لقد علمت أن أحدكم خالجنيها.

ويقول لثالث: من قال الكلمة كذا التي سمعت أنفا.

ونحو ذلك مما يقتدىٰ فيه بالنبي ﷺ من جهة جانب الإمامة والخطابة.

فالسنة عظيمة في هذا الجانب.

واليوم ينبغي لنا أن نحرص علىٰ معرفة أفعال النبي ﷺ من حيثُ كونه إماما لمسجد، وحيث أرشد الناس إلىٰ ذلك وحيث خطب بهم الجمعة.

فنجده مثلا في الصلاة كان أكثر ما يقرأ في المغرب والعشاء والفجر بالمفصَّل:

في المغرب كان أكثر ما يقرأ بقصاره.

وفي العشاء بأواسطه.

وفي الفجر بطواله.

وربما في قليل قرأ غير ذلك، والسنة في هذا مرعية بخلاف من اعتاد أن يقرأ بطوال السور ويترك المفصل، والمفصل للمصلين أبلغ تأثيرا؛ لأنه قصير الآي، يعيه المستمع لما اشتمل عليه لتوحيد الله وذكر النبوة والدار الآخرة، وانقسام الناس إلىٰ أهل الجنة وأهل النار.

ولهذا قال أحد الصحابة لما قرأ النبي ﷺ بعض سورة الطور قال: كاد قلبي يطير.

والتأثير بالمفصل عظيم، والخطبة خطب النبي ﷺ هي مدونة أو كثير منها مدون في كتب أهل العلم، قصيرة الكلمات في الموعظة، وكان عليه الصلاة والسلام يفرِّق ما بين الخطب التي في الشأن العام التي يعلو لأجلها المنبر أو يتكلم فيها بعد الصلاة أو يجمع الناس إلها وما بين خطبته في الجمعة.

فخطبته ﷺ في الجمعة مع أنها عرضت مسائل عظام؛ لكن لم يكن يتكلم فيها بالمسائل الكبيرة، وإنما كان يتكلم في مسائل التي تهم أو الوقائع والأحوال يتكلم فيها في غير الجمعة، وخطبه محفوظة وينبغي الحرص علىٰ مراجعتها ومعرفة ذلك.

واليوم يلحظ طلبة العلم أن كثيرًا من الخطب تخاطب بها العقول ولا تخاطب بها القلوب، أو لا يفهمها إلا القليل، أو هي مما يمر فوق الرؤوس دون أن ينزل إلىٰ الأفئدة والنفوس، وهذا كثير إما من جهة محتواها، وإما من جهة طولها..

وأما الطول فحدِّث ولا حرج حتىٰ إن الأكثرين من المسلمين المصلين إذا انصرفوا من صلاة الجمعة لم يكادوا يذكرون إلا موضوع الخطبة، بينما كان الأوائل لأجل قصر الخطبة يكادون يحفظون جمل الخطيب، وتؤثِّر فيهم ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: إذا وعظت فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، فإن طول الخطبة أو أن تتناول فيها موضوعات يسمعها المصلون في وسائل الإعلام ويسمعونها في المجالس، ليس من السنة في شيء، والذي يتأول فيقول: إن المصلحة في ذلك بالاستقراء وجد أنه فاتت مصالح في إصلاح النفوس لأجل هذه المصلحة المتوهّمة.

والمقصود في ذلك المبالغة فإذا رأينا وجدنا أن من الخطب ما يكون أكثر السنة في الشأن العام، وأما المواعظ فإنها قليلة، وما يؤثر في النفوس من جهة العمل والعبادة قليل، وهذا ليس بالسمت الحسن.

ولهٰذا المطلوب أن نراجع أنفسنا، وأخشىٰ أن يكون شيء من تساهل الناس في العبادة بسبب غياب الخطب التي تذكِّر بالآخر وتجل منها القلوب ويحرص بها الناس علىٰ التعبد.

صلاح الناس هو المقصود، والخطيب مقصوده صلاح الناس وصلاح الناس يبتدئ بصلاح القلب «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله» وصلاح القلب يكون بالموعظة الحسنة التي تذكر بالآخرة التي قل التذكير بها، حتىٰ إنك تجد بخلاف أزمنة مضت ينصرف الناس من الخطبة ولا دمعة سالت علىٰ خد من جهة تذكر الآخر وتذكر الله جل وعلا، تُعرض الموضوعات من هنا وهناك.

الإمام فيما يلقي من كلمات، والخطيب فيما يلقي من خطبة يجب أن يتذكر أن مسؤوليته عظيمة، وأن يكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر؛ كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن من عباد الله مفاتيح للخير مغاليق للشر» وهذه مدحة عظيمة لهؤلاء الصنف.

فإذا كان الإمام من خاصَّةِ هؤلاء فإنه يسعىٰ في أن يكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر.

ومفتاح الخير أنواع، وله أسنان: الكلمة والعمل الصالح وإصلاح ذات البين والنشاط في المسجد الذي يحبب النفوس في دين الله جل وعلا ويبعدهم عن الغي والانحراف.. هذا من أعظم أسباب فتح باب الخير لجماعة المسجد.

ولسنا نركز علىٰ الشباب، فالتركيز علىٰ الشباب صنيع حركي تترفع عنه المساجد، وإنما يخاطب في المسجد من كان مسلمًا مؤمنا بالله واليوم الآخ، وأولهم ذو الشيبة الذي انحنىٰ ظهره، وآخرهم الناشئ الصغير، والناس فيما بين هذا وهذا فئات ودرجات، وكل فئة لابد أن يكون لها نصيب؛ لأن المقصود

التعبد لله جل وعلا، والحرص علىٰ التعبد وتقريب النفوس لله هو بإصلاح النفس وزيادة عبادتها؛ بل إنني لاحظت أن بعض العامة أكثر تعبُّدًا وأكثر حرصا علىٰ الصلاة من بعض الشباب الذين ظاهرهم الخير والاستقامة، وهذا مما ينبغي معالجته.

فالذي يجب أن يكون الإمام قدوة، وأن يجعل هذه الفئة التي هي الشباب أن تكون أكثر حرصا علىٰ الطاعة والعبادة وعلىٰ التفاعل علىٰ الخير بداخل المسجد.

وأبواب فتح الخير كثيرة لا حصر لها فتنشيط المسجد بالمحاضرات النافعة والدروس العلمية، ويكون الإمام بين الجماعة قدوة حسنة يصلح فيما بينهم، ويسعىٰ فيما يحتاجون إليه، هذا كله مما يحمد له.

وكذلك الحرص علىٰ حلقات تحفيظ القرآن في المساجد؛ لأن البيوت فيها شباب وفيها صغار وفيها كبار كلهم بحاجة الىٰ أن يعلم القرآن، تكون هناك حلقة في المسجد من أراد أن يجيد القراءة أو التلاوة أو أن يكون حافظا للقرآن أو لبعض آيه فإنه يتوجه له، فلا يحسن أن يكون مسجد لا حلقة فيه بل هذا من أعظم ما يكون.

ومسجد النبي كانت فيه الحلق العظيمة لحفظ القرآن ولتلاوة العلم ولتدريسه وأنواع من الخير في ذلك.

فنحرص جميعا علىٰ أن يكون المسجد خيرا لكل من أتاه في آخرته وفي دنياه، وهذا إنما يكون بحرص الإمام وفتحه لأبواب الخير، وأن يكون حريصا علىٰ جمع الكلمة فيما يأتي بين جماعة المسجد.

كذلك الإمام أن يكون مغلاقا للشر هذا من أعظم مهماته، والشر أنواع:

منها ما هو قاصر علىٰ نفسه.

ومنها ما هو متعد للحاضرين معه.

ومنها ما هو أبعد من ذلك.

ومن أعظم الشر أن يوجد خلل في الاعتقاد، أو فشو البدع، أو وجود أفكار من جهة العقيدة والسنة ليس كما ينبغي، أو فيها مجانبة للطريقة المتيقنة من عند صحابة رسول الله ﷺ والسلف الصالح، هٰذا أعظم الشر، فيجب أن يكون مغلاقا لهذا الشر بكلمته وبعمله وبحسن تواصله وإرشاده وبكلامه وبقراءة بعض الكتب التي ترشد في هذا الباب.

فهذا أعظم ما يكون في فتح أبواب الخير وغلق أبواب الشر.

والناس يحتاجون للتذكير في هذا الأمر العصيب؛ لأنه يخاف منه كيف لا وإبراهيم عليه السلام قال في دعائه لربه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم]، قال بعض السلف: ومن يأمن البلاء بعد ابراهيم.

واليوم من الناس من يقول لماذا تذكرون كذا وكذا؟ وأين هي عبادة الأصنام؟ وأين هو الشرك بالله؟... إلخ، والخوف من الشيء يوجب التذكير به؛ بل إن النبي ﷺ جاءه الصحابة، وقالوا له: إنا نقول: ما شاء

الله وشاء محمد، فقالت يهود: إنكم تنددون تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فقال النبي ﷺ: «قولوا ما شاء الله وحده»، والذي انتقد الصحابة اليهود؛ ولكن لعظم شأن التوحيد وشأن حق الله جل وعلا قال لهم النبي: «قولوا ما شاء الله وحده».

فالحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق الناس بها.

ثم من الشر الذي يغلق أنواع الانحرافات من جهة الشبهات ومن جهة الشهوات، واليوم كثيرة جدا خاصة مع تسلط الإعلام الفضائي وبعض المجلات والصحف التي لا تتحرىٰ في هذا الجانب، فهناك شبه كثيرة أثيرت علىٰ الديانة وعلىٰ العقيدة وعلىٰ أئمة الإسلام وعلىٰ السنة؛ بل وعلىٰ النبي في نفسه؛ بل هناك من قال: إن القرآن لم يُعتن به كمال العناية فربما كان فيه نقص أو شيء من ذلك.

وهناك من قال: إن بعض أئمة الإسلام عندهم كذا وكذا من الإشكالات والأمراض النفسية وما أشبه من ذلك.

ومنهم من قال: إن مشكلتنا في الارتباط في الماضي ولا بد من نستأنف شيئا جديدا فيما نراه.

وهذه الشبهات تؤثر في الناس؛ لأن اليوم من يقرأون الصحف ويتابعون الفضائيات أكثر وأكثر بل قد تزيد النسبة عن ٩٥٪.

ولذلك الشبهات تزيد ولا بد من الإجابة ولا بد من البيان ولا بد من الحرص علىٰ ذلك في عبارة عالية شرعية يبيَّن فيها الحق ويحذر فيها من ضده، وهذه لا بد أن يكون للمسجد دور فيها؛ لأن إمام المسجد يكون واعيا فيما يدور في عصره ولما يدور حوله، وهذا واجب عليه أن ينبه واجب عليه أن يبين لكن لما انتشر وذاع؛ لأنه أحيانا قد يقول أشياء ليست منتشرة ذائعة فيغري الناس في البحث عنها، وهذه سوأة لا ينبغي أن يكون الإمام فيها بل فيما انتشر وظهر وتداوله الناس فيبين ويحذر.

ومن عنده القدرة بالمشاركة فيما هو أبعد من مسجده بمحاضرة عامة في مسجد أخر أو في كتابة في صحيفة أو مجلة أو مشاركة في وسيلة إعلامية فهذا من الحسن الذي يسعىٰ إليه.

كذلك في جانب الشهوات

اليوم الكثير من الانحرافات في جانب الشهوات وحب المال يحرف النفوس حتىٰ يكاد أن يجعل الدنيا هي أكبر الهم ولا ننسىٰ قول النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميلة»، وهذه في هذا الوقت كثرت والسبب قلة تذكر الآخرة، وأن الدنيا هي ما يأخذ به الناس ويعطون، وإلا فبماذا تفسر الغفلة عن الصبر الذي هو واجب، فالصبر علىٰ الطاعة والصبر عن المعصية أصل الدين، وإنما يضعف الصبر بضعف الإيمان، ويضعف الإيمان بحب الدنيا، فكلما زاد حب الدنيا ونسيت الآخر كلما زاد السالكون في هذا الطريق.

وأيضا مما يحذر فيه من الشر ما هو بعد التوحيد والسنة يعني بعد العقيدة والسنة الذي هو الفُرقة وعدم الائتلاف وترك الجماعة، ومعلوم أن هذه الثلاث من أعظم ما أكَّد عليه النبي ﷺ وأعاد وأبدىٰ، وذلك لعظم شأن الطاعة، فطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ أصل في هذا الدين، ولا تتم إلا باجتماع الكلمة، (ولما

تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة) كما قال ابن مسعود ﵁، وكما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «الفرقة عذاب يعذب به جل وعلا من شاء».

فإذن أن نكون مغاليق للشر هٰذا من أعظم القربات، ولو كان كل خطيب وكل امام دائما في كلامه وفي تصرفات ينتبه إلىٰ هذه المسألة؛ وهو ألا يكون في كلمة يقولها فتحًا لباب فرقة أو سدا لباب اجتماع لكننا علىٰ حذر دائم من هذه المسألة، فعظم شأن الجماعة الاجتماع، والاجتماع كما هو معلوم نوعان:

- اجتماع في الدين.
- واجتماع في الأبدان.

والفرقة:

- فرقة في الدين.
- وفرقة في الأبدان.

وكل منهما فيه النصوص أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾[آل عمران:١٠٣].

فالحرص علىٰ انواع الجماعة -جماعة الدين وجماعة الأبدان- وهٰذا إنما هو حصيلة عباد الله جل وعلا المنتخبين، وإذا فتح علىٰ العبد الحرص علىٰ باب الاجتماع والحذر والخوف من باب الافتراق فإنه قد أوتي خيرا كثيرا، وإذا صُد عن العبد وأوصد أمامه باب الحرص علىٰ الجماعة والحذر من الفرقة فإنه قد أتي من مكمن.

ولذلك الكلمة قد لا يلقي لها الخطيب أو الإمام بالا، ويرسلها إرسالا، وتؤثر في النفوس من جهة يعظم فيها جانب الاجتماع ويحذر فيها من الافتراق أو بعكس ذلك تفتح باب الأحقاد وباب الافتراق.

لهذا قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عند البخاري وغيره: «ما أنت محدِّث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» وهذا حق فإذا حدثت أناسا مختلفين في أعمارهم، مختلفين في إدراكاتهم، مختلفين في مشاكلهم النفسية.

اليوم لما رصد ضمور الإرهاب والأحوال النفسية لبعض الذين دخلوا في سلك عمل الخوارج وقتلوا من المسلمين، وما أنتم تعلمونه عندنا، بعضهم لا يعرف، والذين زاروا من الأخوة السجون بعضهم لا يعرف من القرآن إلا القليل ولا يعرف من الأذكار إلا ما ندر، ليسوا بأهل علم؛ لكن وجدوا من الكلمات ما يجعلهم يتجهون إلىٰ ذلك لسبب نفسي لديهم، جعلهم يزيدون يذهبون إلىٰ ذلك، ولهذا الخطيب يجب أن لا يأثم نفسه يظن أنه يريد الخير ويدخل نفسه في إشكال يكون معه الإثم ولا تنسىٰ قول النبي ﷺ: «وإن الرجل ليتكلم بكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا» فليست العبرة بأنه قصد أو لم يقصد، قد يُلقي الكلمة لا يلقي لها بالا يعني لا يعتقد أنها ستصل إلىٰ ما وصلت إليه.

ولذلك الحذر. هناك الكثير ممن خرجوا عن الجماعة أو تولدت فيهم أحقاد أو لم يستطيعوا تفسير بعض ماهو موجود بسبب التحميس، وهل كل أحد يستطيع تفسير الأمور، ويعرف الفرق ماله وما ليس له؟ ليس كل أحد، ولذلك علىٰ الإمام والخطيب أن يحرص علىٰ ذلك.

اليوم عندنا مشكلات كبيرة في مسائل التكفير وما يتبعها، فعلىٰ الإمام أو الخطيب أن يعالج هذا الأمر لأن هذا الأمر:

أولا مسألة عقدية.

وثانيا أثره عاد علىٰ المجتمع بالضرر العظيم واخترقت به الكثير من الضروريات الخمس.

لديَّ هنا ملاحظات دونها الأخوة في إدارة الأوقاف والمساجد أقرأها عليكم مع شيء من التعليق عليها:

يقول **أولا: الغياب المستمر للأئمة والاكتفاء بصلاة الجمعة فقط وتوكيل أشخاص غير مؤهلين للأمامة أو بدون علم إدارة المساجد أو الفرع.**

الإمامة ليست غنيمة الإمامة مسؤولية وأمرها عظيم لذلك التفريط فيها؛ بأنه يغيب يسافر يغيب بالفروض، إذا كنت لست أهلا لا تستطيع القيام بها اعتذر. لا يصلح أن يقوم بوظيفة شرعية (هذه ليست وظيفة حكومية، هذه وظيفة شرعية، يقول العلماء: إنما يستحقها من قام بها ويقول ابن تيمية في معرض مسألة حول أوقاف وأرزاق تدر من مدرسة قال: وأكثر الذين يقومون عليها الآن لا يوافقون شرط الواقف، فلا يحل لهم ما أخذوا) الغياب اذا كان لحاجة أو ما هو أعلىٰ من الحاجة من الضرورة فهذا لصاحبه عذر؛ لكن أن يتكرر ويكثر خاصة في الصيف، نأتي كثير من المساجد وين صاحبها يقول الجماعة: له أسبوعين ما حضر، أو له ثلاثة أسابيع ما حضر، ونوب أحد الناس.

وليس الأمر سائغا بهذا الشكل، ينبغي أن نتعاون، إذا كان واحد سيذهب ينوب عنه من يصلح للإمامة بعلم الإدارة.

فإذن مسألة التوكيل ينبغي النظر فيها، والغياب لا يسوغ، والله المستعان.

أناس أدركناهم يقول لي: ثلاثين سنة ما غبت، وآخر يقول: عشرين سنة ما غبت إلا لسفر أو مرض. واحد مثلا يقو: أتصل بفلان يصلي، [أمتعه الجلوس] لا صلح هٰذا، المسألة تحتاج إلىٰ محاسبة للنفس أكثر؛ لأنها ليست وظيفة رسمية، لذلك يجوز الجمع بين المكافآت التي تعطىٰ لإمام المسجد ووظيفة رسمية أخرىٰ، ونظام الدولة لا يجوز الجمع بين وظيفتين؛ لأنها ليست وظيفة؛ بل انها وظيفة شرعية وما يعطاه انما هو رزق من بيت المال لأعانته علىٰ القيام بالواجب الشرعي، وسكناه في بيت المسجد كذلك. فإن كان يفرط بالقيام بالواجب الشرعي، فإنه يحتاج إلىٰ أن يحاسب نفسه.

الأمر الثاني أنه إذا طلب من بعض منسوبي المساجد أن يحضروا للإدارة وأن يتفاهموا مع المسؤولين فيها فإنهم لا يحضرون إلا بتكرار الاستدعاء.

وهذا ليس بحسن بل ولا محمود الأصل في الإمام أن فيه الديانة وفيه العقل، والإدارات خدمة؛ يعني إدارة المساجد هي إدارة تخدم المساجد، والذي يباشر العمل هم الأئمة والخطباء. الوزارة والوكلاء إنما هم يخدمون هذا القطاع بما يدرسونه بما يتابعونه ... إلخ.

إذن المصلحة ليست هي لمدير الإدارة، المصلحة عامة .. فإذا فرط الإمام أو استهان بالأمر قد لا يعيها هو فلا بد أن يكون هناك استجابة واحتساب لذلك؛ لأن الأجر حاصل علىٰ كل حال.

ثالثا: الاكتفاء بالصلاة وعدم الإسهام مع أهل الحي وحل مشاكل أهل الحي.

ذكرت لكم أن من مفاتيح الخير التي نريدها أن يكون هناك إسهام حسب القدرة والاستطاعة.

رابعا: عدم التقيد بالتعاميم وعدم التعاون في تنفيذها وقلة الاهتمام بتوجيهات المسؤولين..

هذا أيضا الامر لا يسوغ لان ولاية امام المسجد والخطيب علىٰ مسجده ولاية صغرىٰ والمسؤول عليه ولايته أكبر من ذلك، والوزير ولايته أكبر من ذلك، وولي الأمر المبايع ولايته أكبر من ذلك..

فإذن الولايات مختلفة، قد يكون هناك عدم تقيد، فأن يأتي أمر ممن هو أعظم منه ولاية ولا يستجيب له فيه مخالفة للطاعة الواجبة عليه شرعا؛ لأن الطاعة واجبة إلا فيما كان معصية.

وهنا تأتي مسألة بعض الأئمة في المساجد والجوامع تأتيه بعض التعاميم أو بعض الطلبات يقول: أنا غير مقتنع بها..

إما غير مقتنع بها لأنه يرىٰ هو أن المصلحة في خلافها.

أو له رأي أخر أو اجتهاد أخر أو وجهة أخرىٰ.

ومن المعلوم أنه في المسائل غير المنصوص بها أنه إذا كان هناك اجتهادان فاجتهاد من له الولاية الأكبر مقدم .. لنقل أن الإمام أو الخطيب يقول: أنا غير مقتنع بهذا التعميم عدم قناعته لا يعني شرعا أن لا ينفذه؛ لأنه هو تحت ولاية الادارة او من هو اكبر بل يجب عليه أن ينفذه وذمته بريئة بل ان لم ينفذ فهو آثم. فاجتهاده لايجوز له أن يجعله مقدم علىٰ اجتهاد من هو أكبر.